

الفصل الخمسون

طوائف الحرفيين ممن لا وجود لهم في القاهرة

والموجودين في البلاد الأخرى

ثمة مثل له عظيم الشيوخ والانتشار بين العلماء والعارفين وهو أن في مصر كثيرا من الخيول ولكن لا وجود لبيطار ماهر ولا وجود لإليطار الحُمُر. والمرضى كثير ولا وجود لطبيب، والعميان كثير ولا وجود لكحال. وهذه الأقوال صحيحة لا تتجافى عن الصواب. وإذا اتفق أن مرض رجل من اثنين ورمدت عينه قيل له في المثل: إذا لم ير أحد شيئا جليا قيل له إن عينه تشبه عين ابن العبد المصري. وحقيقة الحال بأمر الحى المتعال أن من يولدون في مصر لآباء من الترك تضعف أبصارهم وتسيل دموعهم. ويقولون لا وجود لحاكم وهم لا يجعلون الحكم للشرع والعرف وكل شئ مصون. إلا أن الوزير كالملتزم فقط يحصل مال السلطان.

ولا وجود كذلك لطواحين الماء، ولا وجود للحممة أى نبع للماء الحار ولكن الآبار كثيرة. ولا وجود لميزان خاص بالدقيق والزيت والعسل ويوجد ميزان للحرير ومصانع الشمع ومصانع الصرمة ودور الوشم ووكالات الرقيق والبزازين. وهذه الطوائف الحرفية موجودة إلا أنها ليست لها الصفة الرسمية.

إن سوق البز كأنها خان الخليلي، ولا وجود لدكان خاص ببياع الدقيق ولا ببياع الغلال، ولا وجود لدكان صانع البوصلة، ولا لمعمل الأوتار. ولا وجود لبائع البضاعة الدقيقة، ولا وجود لصانع السلطة. ولا دكان لصانع الدرود ولا لصانع التروس، ولا وجود لدكان الجل ولا وجود لدكان صانع الطبنجات ولا لصانع البنادق. فالدرود والخذ تأتي من بلاد الشركس وداغستان. أما الترس فيأتي من حلب، والجل يأتي من كل البلاد والبنادق والطبنجات تأتي من الجزائر.

ولا وجود لدكاكين وزّاني الحديد ولا النحاس ولا دكاكين لصانع المثقاب، ولا صانع المطرقة ولا المنشار. ولا دكاكين لصانعي الكشتبان والإبر، ولا دكاكين لمدربي

الرمى بالسهام ولا للمدربى النسخ فى بوق الفرقة الموسيقية العسكرية، ولا نافخى المزمار. إلا أنهم يصنعون طبولا عجيبة للكاشف.

ولا وجود لدكاكين الأوانى الزجاجية ولا دكاكين لصانعى الصحون النحاسية، ولا لصانعى دولاب السفينة. ولا وجود كذلك لمن يحك الماس ولا لصانعى الأسلاك الحديدية وهذه الأشياء تستورد جاهزة من بلاد الفرنجة.

ولا دكاكين لصهر القصدير ولا لصنع ألواح الرصاص. إلا أن ثمة من يسمى الحاج ناصر وهو رجل من رشيد تعلم على يدى صناعة القوالب وصب ما يقرب من ألف لوح من الرصاص وأرسلت إلى مكة لعمل خزانات الماء لميرة (خاصكى سلطان) ومستشفى، ولا وجود لدكاكين صانعى الريش الذى يوضع على الرأس، ولا دكاكين لصنع رق الغزال ولا للباد الانكشارية، ولا دكان صانعى السياط.

ومصنوعات تلك الطوائف الغير موجودة فى مصر تستورد من جميع أرجاء الدنيا وتتوفر جميع الأشياء ذات القيمة النفيسة.

ولا وجود كذلك لطوائف صانعى القيشانى، ومستخرجى الفضة بحامض الكبريت، وطوائف صناع البراميل من الخشب والخزانة وقنوات المياه والجص والقرميد والبلاط، ولا وجود لأحدها فى مصر، فمدينة القاهرة فى غنى عنها وجميع النفائس ترد من الهند واليمن إلى مصر.
